

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٨٦٤ : خ ١ - أسباب الخشوع في الصلاة ٣ ، خ ٢ - حكم من كثرت وساوسه في الصلاة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-١٢-٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نعمده ، ونستعين به ونستترشده ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهديه الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين:

أيها الأخوة الكرام ، لا زلنا في موضوع الصلاة ، وهذه الخطبة الثالثة والأخيرة حول أسباب الخشوع في الصلاة ، انطلاقاً إلى أن الخشوع في الصلاة من ألزم واجبات المصلي .
أيها الأخوة الكرام ، الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد قام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين ، ولا خير في دين لا صلاة فيه ، والصلاة سيدة الطاعات ، وغرة العبادات ، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسموات ، الفرق الجوهرية بين المؤمن وغير المؤمن الصلاة ، المؤمن موصول بخالق الأرض والسموات ، والطرف الآخر مقطوع عن الإمداد ، إمداد خالق الأرض والسموات .
أيها الأخوة الكرام ، أضع بين أيديكم مثلاً من حياتنا جميعاً ، العين مهما دقت رؤيتها لا قيمة لها من دون نور يتوسط بينها وبين الأشياء ، فلو جلس بصير وكفيف البصر في غرفة مظلمة هم سواء ، فكما أن الضوء ضروري جداً لرؤية العين ، ولأداء وظيفة العين ، كذلك الاتصال بالله ضروري جداً لرؤية العقل ، واستنارته بنور الله .

من استخدم عقله من دون هدى من ربه فهو في ضلالة عمياء:

لقد وصف الله من استخدم عقله بالوحي ، قال:

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأْضِلِّيهِ سَقَرٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾

(سورة المدثر)

أن يستخدم الإنسان عقله من دون هدى من ربه هو في ضلالة عمياء ، لعل من أدق ما تعنيه بعض الروايات التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن الصلاة نور ، نور للإنسان ، تؤكد هذه الآية آية ثانية:

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة الملك)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾

(سورة الحديد الآية: ٢٨)

هذا النور يتأتى في أثناء الصلاة ، الصلاة نور ، الصلاة طهور ، الصلاة حبور ، طهور تطهر المؤمن من أدراجه.

((أرأيتم لو أن نهاراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يُبقي من درنه شيء؟ قالوا: لا يُبقي من درنه شيئاً ، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

الصلاة هي الفرض المتكرر الذي لا يسقط بحال من الأحوال:

أيها الأخوة الكرام ، يسقط الحج عن المريض والفقير ، ويسقط الصيام عن المسافر والمريض ، وتسقط الزكاة عن الفقير ، وتتوَدى الشهادة مرة واحدة ، أما الفرض المتكرر الذي لا يسقط بحال هو الصلاة ، هو أداة الاتصال بخالق الأرض والسموات.

أيها الأخوة الكرام ، ورد في الحديث القدسي أنه:

((ليس كل مصلي يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكفَّ شهواته عن محارمي ، ولم يصر على معصيتي ، وأطعم الجائع ، وكسا العريان ، ورحم المصاب ، وآوى الغريب ، كل ذلك لي ، وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس ، على أن أجعل الجهالة له حلاماً ، والظلمة نوراً ، يدعوني فألبيه ، يسألني فأعطيه ، يقسم عليّ فأبره ، أكلؤه بقربي ، وأستحفظه ملائكتي ، مثله عندي كمثل الفردوس لا يمس ثمرها ولا يتغير حالها))

[أخرجه الديلمي عن حارثة بن وهب]

١ . على الإنسان أن يزيل ما يشغله من المكان:

هذه مقدمة أيها الأخوة ، تحدثنا في خطبتين سابقتين عن أسباب الخشوع في الصلاة ، وكان محور الخطبة السابقة تقوية الداويع إلى الصلاة ، واليوم إزالة العقبات أمام المصلي .
أيها الأخوة الكرام ، أحد أسباب الخشوع في الصلاة أن تزيل ما يشغلك من المكان ، فعن أنس رضي الله عنه ، قال: يقول عليه الصلاة والسلام يخاطب عائشة رضي الله عنها و قد كان لها قرام تستر به جانب بيتها:

((أَمِطِي عَنِّي . أَي أزيلِي . فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تَغْرِضُ لِي فِي صَلَاتِي))

[رواه البخاري عن أنس رضي الله عنهما]

أي شيء يلفت النظر ، أي شيء يشغل القلب ، ينبغي أن تزيله من المكان ، فإن لم تستطع فعند ابن القيم ينبغي أن تغمض عينيك ، إن دخلت إلى مكان يلفت النظر ، ويشغل النفس ، قد تتأمل في اللوحات التي على الجدران ، وفي طريقة الزخرفة والبنيان ، وفي فخامة الأثاث ، إن رأيت نفسك تسترسل فيما حولك فالأولى أن تغمض عينيك ، إن لم تستطع أن تزيل الذي أمامك .

إذا الشيء الذي تراه في الصلاة إذا شغلك عن الاتصال بالله عز وجل ربما لن تحقق من الصلاة ثمرتها .
أيها الأخوة الكرام ، في المكان الشيء الذي يشغل المصلي ، إما أن تزيله ، وإما أن تغمض عينيك كي يتحقق الخشوع في الصلاة .

مما يضاف إلى ذلك ، ومن الإسقاطات التي يمكن أن تكون في هذا الزمن أن تصلي في غرفة الجلوس ، والأهل يتحدثون ، ويتناقشون ، ويتخاصمون ، أن تصلي والمذياع مفتوح والأخبار تذاق ، أن تصلي في دكانك ، وموظفو المحل يتناقشون مع الزبائن بالأسعار ، أنت معهم ولست مع الله عز وجل ، فإذا صليت في مكان عام ، في مكان فيه حديث ، في مكان فيه مناقشة، في مكان فيه أخبار مهمة ، أنت مع الأخبار قطعاً ، ولست مع الله عز وجل ، فينبغي أن تبتعد عن مكان يشغلك عن الله عز وجل ، أول سبب من إزالة العقبات أمام الخشوع أن تبتعد عن مكان فيه ما يلفت النظر ، فيه ما يشغل القلب ، فيه أصوات ، وحركات، وسكنات ، قد تكون معها ولست مع الله عز وجل ، إذا كنت في بيتك ادخل إلى غرفة ليس فيها أحد وصل ، أما أن تصلي في غرفة الجلوس لأنها دافئة ، والأهل يتحدثون ، ويتناقشون ، وأنت معهم في حديثهم ، لكنك تؤدي حركات وسكنات لا معنى لها .

٢ . تجنب الصلاة في أماكن الحر الشديد و البارد الشديد :

أيها الأخوة الكرام ، أيضاً ينبغي أن نتجنب الصلاة في أماكن الحر الشديد والبرد الشديد ، فالجسم حينما يكون موجوداً بحر شديد أو ببرد شديد ، قلماً يستطيع صاحبه أن يقبل على الله عز وجل ، فتوفير المكان الدافئ في الشتاء ، والمكان المعتدل في الصيف ، هذا أيضاً مما يعين على الخشوع في الصلاة .
من هذا المنطلق نجد أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور ، ويفعل العبد هذه العبادة بتكره وتضجر ، فمن حكمة الشارع أنه أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر فيصلي العبد بقلب حاضر ، ويحصل مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى .

٣ . الابتعاد عن المبالغة في العناية بالثياب :

أيضاً لو تركنا المكان وما فيه من تصاوير ، ومن زخارف ، ومن ضوضاء ، ومن حديث ، ومن حركات ، ومن سكنات ، وما فيه من برد أو حر ، لو أتينا إلى الثوب ، الصلاة في ثوب مزركش فخم جداً قد يشغل الإنسان عن صلاته ، هذا للرجال وللنساء ، والنساء أولى من الرجال في هذا ، أي المبالغة في العناية بالثياب ، وأنت تصلي قد لا تتم الركوع والسجود حفاظاً على سلامة الثوب ، فينبغي أن تصلي وأنت مرتاح .
مما ورد في هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((اذهبوا بهذه الخميصة... فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي أَنْفًا عَنْ صَلَاتِي))

[أحمد عن عائشة]

وهو بهذا يعلمنا ألا نشتغل لا بالمكان ، ولا بالثوب ، عن الاتصال بالله عز وجل .

٤ . ألا يصلي المصلي وبحضرته طعام يشتهيهِ :

أيها الأخوة ، ومن أحد أسباب عدم الخشوع في الصلاة ألا يصلي المصلي وبحضرته طعام يشتهيهِ ، فكان عليه الصلاة والسلام يقول :

((لا صلاة بحضرة الطعام))

[مسلم عن عائشة]

إذا وضع الطعام وحضر بين يدي المصلي ، أو قدم له ، فليبدأ به لأنه لا يخشع إذا تركه ، وقام يصلي ونفسه متعلقة به ، بل إن عليه أن يأكل أولاً ثم يصلي ثانياً ، فإذا قرب العشاء وحضرت الصلاة كما قال عليه الصلاة والسلام :

((فابدؤوا به قبل أن تصلوا))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك]

وفي رواية أخرى :

((إذا وُضِعَ عِشَاءٌ أَحَدِكُمْ وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فابدؤوا بالعشاء ، ولا تعجل حتى تفرغ منه))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن عبد الله بن عمر]

من أجل أن تصلي وأنت خالي القلب ، يحمل على هذا ، جاءتك رسالة مهمة ، افتحها واقرأها ثم صل ، تنتظر فيها حوالة ، يا ترى أرسل الحوالة أم لم يرسلها ؟ اشتريت آلة تحتاج إلى أن تفهم بعض دقائقها ، افتح الآلة واختم دقائقها ثم صل ، لا تدع شيئاً يشغلك عن الصلاة.

٥ . ألا يصلي المصلي وهو حاقن أو حاقب :

أيها الأخوة الكرام ، ألا يصلي المصلي وهو حاقن ، أو حاقب ، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي الرجل وهو حاقن ، والحاقن الذي حبس بوله ، فضلاً عن أن هذا مضر صحياً ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يصلي المصلي وهو حاقب ، والحاقب الذي حبس غائطه ، لا حاقن ولا حاقب ، أفرغ مثانتك ، وأفرغ أمعاءك ، واسترح ثم صل ، هناك من يريد أن يصلي من دون أن يتوضأ وضوءاً جديداً فيصلّي وهو حاقن ، ويصلي وهو حاقب ، وفي هذا نهى شديد لأنك مشغول بإفراغ المثانة والمستقيم عن الصلاة.

قال بعض العلماء: من حصل له ذلك فعليه أن يذهب إلى الخلاء لقضاء حاجته ولو فاتته ما فاتته من صلاة الجماعة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم فيما ورد في صحيح الجامع أنه قال:

((إذا أراد أحدكم أن يذهب إلى الخلاء ، وقامت الصلاة ، فليبدأ بالخلاء))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن عبد الله بن الأرقم]

بل إنه إذا حصل له ذلك و شعر بحاجة إلى الخلاء أثناء الصلاة فإنه يقطع صلاته لقضاء حاجته ، ثم يتطهر ويصلي ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((لا صلاة بحضرة الطعام ، ولا لمن يدافعهُ الأخبثان))

[مسلم عن عائشة]

البول والغائط ، أيضاً من أسباب دفع موانع الخشوع في الصلاة.

٦ . ألا يصلي المصلي وقد غلبه النعاس :

ألا يصلي المصلي وقد غلبه النعاس ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إذا نعس أحدكم في الصلاة فليتم حتى يعلم ما يقول))

[البخاري عن أنس بن مالك]

أي:

((فليرقُد حتى يذهب عنه النُّوم))

[رواه البخاري عن عائشة أم المؤمنين]

وفي حديث آخر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((إذا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يَصَلِي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعَسَ لَا يَدْرِي :
لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيُسَبِّحُ نَفْسَهُ))

[رواه البخاري عن عائشة أم المؤمنين]

٧ . ألا يصلي الإنسان خلف متحدث:

أيها الأخوة الكرام ، ومن أسباب الخشوع في الصلاة ألا يصلي خلف متحدث ، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تصلُّوا خلف النائم ، ولا المتحدِّث))

[أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عباس وهو في صحيح الجامع]

لأن المتحدث يلهي بحديثه ، والنائم قد يبدو منه ما يلهي ، لكن موضوع النائم عليه قول ، لو أن النائم نوماً طبيعياً وهو متستر تستراً كاملاً لا شيء في ذلك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي قيام الليل والسيدة عائشة نائمة ، أما إذا كان هذا النائم ليس منضبطاً في نومه ، وقد تتكشف عورته في أثناء النوم ، وقد ، وقد ، فالأولى ألا تصلي وهو أمامك لئلا تتشغل به ، وبجركاته أثناء نومه ، أما المتحدث إنك تتشغل بحديثه عن الاتصال بالله عز وجل .

أيها الأخوة الكرام ، أعيد عليكم مراراً إني أعظكم وأعظ نفسي معكم ، وإنني أيضاً معني بالخطاب ، لأن الله سبحانه وتعالى يحب منا جميعاً ألا نستمر على خطأ ، أي ليس العار أن تخطئ ولكن العار أن تبقى مخطئاً ، وليس العار أن تجهل ولكن العار أن تبقى جاهلاً .

كره بعض العلماء الصلاة إلى النائم خشية أن يبدو منه ما يلهي المصلي عن صلاته ، جاء هذا في فتح الباري ، قال: فإذا أمن ذلك فلا تكره الصلاة خلف النائم لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي فيما تروي السيدة عائشة:

((وأنا راقدة معترضة على فراشه))

[البخاري عن عائشة]

٨ . عدم الانشغال بشيء فيها كتسوية الحصى:

ومن أسباب الخشوع في الصلاة عدم الانشغال بشيء فيها ، كتسوية الحصى ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال:

((رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يُسَوِّي التراب حيث يسجد ، قال: إن كنت فاعلاً فواحدة))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن معيقب]

الحركات الكثيرة في الصلاة أن تسوي الحصى ، أن تسوي مكان السجود ، أن تصلح من ثوبك ، أن تنفض شيئاً عنه ، أن تمسح جبينك ، كثرة الحركات في الصلاة تبعد الإنسان عن الخشوع فيها ، لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه .

وقال عليه الصلاة والسلام:

((لا تمسح وأنت تصلي ، وإن كنت لا بد فاعلاً فواحدة))

[أبو داود عن معيقب]

وقال عليه الصلاة والسلام:

((إن في الصلاة شغلاً))

[البخاري عن عبد الله]

المصلي مشغول باتصاله بالله عز وجل ، فإن كان يؤدي حركات وسكنات لا معنى لها عنده ، وإن كان يقرأ قراءات لا يفهمها ، أو لا يعنى بمعانيها تصبح الصلاة عبئاً ، إذ لا بد من أن يتشاغل بشيء آخر .

٩ . عدم التشويش في القراءة على الآخرين:

ومن أسباب الخشوع بالصلاة عدم التشويش في القراءة على الآخرين ، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((ألا إن كلكم مناخٍ ربه ، فلا يؤذِنُ بعضكم بعضاً))

[أخرجه أبو داود وابن خزيمة عن أبي سعيد الخدري]

وهذا يحصل ، المصلون يؤدون صلاة السنة ، يأتي رجل ويصلي إماماً ، ويرفع صوته حتى يسمع كل من في المسجد بقراءته ، وحروفه ، وتزويده ، وبراعته في القراءة ، فشوش على كل المصلين ، ينبغي ألا تؤذي أحداً وأنت تصلي ، إن كنت تصلي إماماً في مسجد والثواب الذي يتوقعه الناس جميعاً من صلاة الجماعة هو في الجماعة الأولى ، أما أن تقام عشرات الجماعات في المسجد ، كلما صلى إنساناً وراءه أربعة أشخاص أو خمسة صلوا صلاة جهرية وشوشوا على الحاضرين ، وعلى دروس العلم ، وعلى من يصلي سنة ، وعلى من يقرأ قرآناً ، فهذا فيه أذى للمسلمين .

((ألا إن كلكم مناخٍ ربه ، فلا يؤذِنُ بعضكم بعضاً ، ولا يرفعنَّ بعضكم على بعض في القراءة))

[أخرجه أبو داود وابن خزيمة عن أبي سعيد الخدري]

ورد هذا في صحيح الجامع .

((ولا يجهزُ بعضكم على بعض بالقرآن))

[أخرجه مالك عن فروة بن عمرو البياضي]

لو لم يصل أحد في المسجد ، وبعد صلاة الفجر جلس بعض المصلين لتلاوة القرآن لا ينبغي أن تقرأ أنت وحدك بصوت عال ، وتشوش على الحاضرين .

١٠ . كثرة الالتفات في الصلاة:

ومن أسباب الخشوع في الصلاة أيها الأخوة ، كثرة الالتفات في الصلاة ، فلا يزال الله عز وجل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي ذر :

((لا يزال الله عز وجل مُقْبِلاً على العبد وهو في صلاته ، ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي ذر]

الالتفات في الصلاة قسماً ؛ التفات القلب إلى غير الله والتفات البصر:

أيها الأخوة الكرام ، الالتفات في الصلاة قسماً ، التفات القلب إلى غير الله ، والتفات البصر ، وكلاهما منهي عنه ، وينقص من أجر الصلاة ، وقد سُئل عليه الصلاة والسلام عن الالتفات في الصلاة فقال:

((اختلاسة يختلسها الشيطان من صلاة العبد))

[أخرجه البخاري وأبو داود وابن خزيمة عن عائشة أم المؤمنين]

أيها الأخوة ، الالتفات في الصلاة منهي عنك برأسك ، منهي عنه بقلبك ، وكلاهما منهي عنه ، يقول بعض العلماء: " إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة ، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض ، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل ، والآخر ساهٍ وغافل " ، مصليان يصليان في مكان واحد ، وفي مسجد واحد ، بين صلاة الأول وصلاة الثاني كما بين السماء والأرض ، لأن الأول مقبل على الله عز وجل ، والثاني ملتفت إلى ما سوى الله عز وجل.

لكن أيها الأخوة هناك التفات مشروع سنّه لنا النبي ، لو أن الابن اقترب من المدفأة حتى كاد يحترق ينبغي أن تلتفت ، ينبغي أن ترفع صوتك ، ينبغي للمرأة أن تصفق ، ينبغي أن تقوم بحركة كي تتقذ هذا الطفل من الوقوع في نار المدفأة ، هناك حالات ضرورية يقدرها الله عز وجل حينما ترى أن خطراً سيقع على أحد أولادك ، أو على والدتك ، أو على زوجتك ، وأنت في الصلاة ينبغي أن تلتفت ، وينبغي أن تفعل إشارة ما كي تشير إلى هذا الخطر ، أو أن ترفع صوتك ، أحياناً تصلي وحدك في الغرفة وفيها ابن صغير كاد يقع من النافذة ، ترفع صوتك بالقرآن حتى تلتفت الأم ، فتأتي وتأخذ الصبي من النافذة المفتوحة.

١١ . عدم رفع البصر إلى السماء:

أيها الأخوة الكرام ، ومن أسباب الخشوع في الصلاة ، عدم رفع البصر إلى السماء .

((إذا كان أحدكم في الصلاة فلا يرفع بصره إلى السماء))

[أخرجه النسائي عن رجل من الصحابة]

((ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة))

[أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي عن أنس بن مالك]

هذا يتنافى مع الخشوع ، وفي حديث ثالث:

((لِيَتَّهَنَنَّ عَنْ ذَلِكَ ، أَوْ لَتُخَطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي عن أنس بن مالك]

١٢ . مدافعة التثاؤب في الصلاة:

وينبغي أيضاً أن يجاهد الإنسان نفسه في مدافعة التثاؤب في الصلاة ، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((إذا تئأب أحدكم فليمسك بيده على فيه ، فإن الشيطان يدخل))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري]

شيء آخر يتنافى مع الخشوع في الصلاة: ترك السدل في الصلاة لما ورد:

((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن السدل في الصلاة ، وأن يُعْطِيَ الرجلُ فاهُ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

إن كان البرد شديداً فلف رأسه كله وغطى فمه ، وقرأ القراءة بشكل غير واضح هذا مما ينقص من أجر الصلاة ، نهى عن أن يسدل المرء في الصلاة ، أن يرتدي ثوباً بلا أكمام ، وضع شيء فهذا الشيء يحتاج إلى متابعة ، هناك بعض الأزياء في البلاد الإسلامية ثوب يلقي على الجسم ، يحتاج في كل دقيقة إلى تعديل ، أما الثوب المخيط المنضبط هذا مريح في الصلاة ، مثلاً إنسان يضع عباءته . من دون أن يدخل يديه في أكمامه . على كتفه في الصلاة هذه قد تنزاح ، قد يحتاج إلى تعديلها من حين إلى آخر ، فأى شيء يشغلك عن الصلاة في الصلاة هو منهي عنه.

قال بعض الشارحين لهذا الحديث: " أن يلتحف بثوبيه ، ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد ، أن يضع الثوب على رأسه أو كتفه ، ويرسل أطرافه أمامه ، أو على عضديه فيبقى منشغلاً بمعالجته ، فيخل بخشوعه بالصلاة ."

ومن أسباب الخشوع بالصلاة ترك التشبه بالبهائم ، فقد نهى صلى الله عليه وسلم في الصلاة عن ثلاث:

((عن نقرَةِ الغراب . السجود السريع . وافتِراشِ السَّبْعِ . إذا سجد يضع يديه مع مرفقيه على الأرض كما

يجلس السبع . وأن يُوطِّن الرجلُ بالمكان في المسجد كما يُوطِّن البعير))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن شبل]

له مكان لا يسمح بتغييره في الصلاة ، يزاحم الناس عليه ، يدفعهم عنه ، كل أرض المسجد واحدة في الثواب بالصلاة ، فهذا الذي يختار مكاناً يصلي فيه ولا يسمح لأحد أن يصلي فيه هذا أيضاً منهي عنه.

((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقرَةِ الغراب ، وافتِراشِ السَّبْعِ ، وأن يُوطِّن الرجلُ بالمكان في

المسجد كما يُوطِّن البعير))

وفي رواية ثانية ، يقول بعض أصحاب النبي:

((نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقرَةِ كنفرة الديك وإقعاء كإقعاء الكلب والتفتات كالتفتات

((الثعلب))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الكرام:

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

اختلاف الفقهاء في وجوب إعادة الصلاة إن راود الإنسان شيئاً من الوسوس في صلاته:

أيها الأخوة الكرام ، إن من عظم مسألة الخشوع في الصلاة وعلو قدرها عند العلماء أنهم ناقشوا هذه القضية ، فبين كثرت الوسوس في صلاته ، هل تصح أم عليه الإعادة ؟ قال بعض العلماء: " فإن قيل ما تقولون في صلاة من عدم خشوع ، هل يعتد بها أم لا يعتد ؟ الاعتداد بها في الثواب لا يعتد بها في الثواب ، إلا بما عقل فيه منها ، لا يعتد لصلاة لا خشوع لها في الثواب إلا بما عقل فيه منها ، وخشع فيه قلب المصلي لربه ، فقط".

قال ابن عباس: " ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ":

((إن العبد لينصرف من الصلاة ولم يكتب له إلا نصفها ، ثلثها ، ربعها ، حتى بلغ عشرها))

[أخرجه أبو داود من حديث عمار بن ياسر]

إن غلب عليه عدم الخشوع فيها ، وعدم تعقلها ، فقد اختلف الفقهاء في وجوب إعادتها ، فأوجبها بعضهم ، ولم يوجبها بعضهم الآخر ، اختلفهم في وجوب الإعادة على الوسوس في صلاته أوجبها بعض العلماء ، ولم يوجبها بعض العلماء الآخرين ، يقول عليه الصلاة والسلام: إن الشيطان يأتي أحدكم في الصلاة فيقول:

((انكر كذا ، انكر كذا ، لما لم يكن يذكر ، حتى يظلل الرجل إن يدري: كم صلى ؟))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر ذكرته قبل قليل:

((إن العبد لينصرف من الصلاة ولم يكتب له إلا نصفها ، ثلثها ، ربعها ، حتى بلغ عشرها))

[أخرجه أبو داود من حديث عمار بن ياسر]

وابن عباس حينما يقول: " ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ".

أيها الأخوة ، إذا غلب على صلاتك الخشوع فقد يكون في السنن ما يرممها ، أما إذا غلب عدم الخشوع ، ومن عادتك أن تخشع في الصلاة ينبغي أن تعيدها ، وفي صلاة واحدة غلب عدم الخشوع فالأولى أن تعيدها.

درجات الخاشعين في الصلاة:

أيها الأخوة الكرام ، الخاشعون في الصلاة درجات ، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ))

[أخرجه الترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الخشعون في الصلاة على درجات خمس ، المرتبة الأولى مرتبة الظالم لنفسه ، المفرط وهو الذي انتقص من وضوئها ، ومواقيتها ، وحدودها ، وأركانها .

المرتبة الثانية: من يحافظ على مواقيتها ، وحدوها ، وأركانها الظاهرة ، ووضوئها لكنه ضيّع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوسواس والأفكار .

المرتبة الثالثة: من حافظ على حدودها ، وأركانها ، وجاهد نفسه في دفع الوسواس والأفكار ، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق من صلاته ، فهو في صلاة وجهاد .

والمرتبة الرابعة: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها ، وأركانها ، وحدودها ، واستغرق قلبه مراعاة حدودها ، وحقوقها ، فلم يضيع شيئاً ، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي ، وإكمالها ، وإتمامها ، قد استغرق قلبه شأن الصلاة ، وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها .

والمرتبة الخامسة: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك ولكنه مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه عز وجل ناظراً بقلبه إليه ، مراقباً له ، ممتلئاً من محبته وعظمته ، كأنه يراه ويشاهده ، وقد اضمحلت تلك الوسواس والخطرات ، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه ، في الصلاة أعظم مما بين السماء والأرض ، وهذا في صلاته مشغول بربه وهو قرير العين به .

القسم الأول: الظالم لنفسه ، المفرط الذي انتقص من وضوئها ، ومواقيتها ، وحدودها ، وأركانها معاقب .

والقسم الثاني: من حافظ على مواقيتها ، وحدودها ، وأركانها الظاهرة ، ووضوئها ، لكنه ضيّع مجاهدة نفسه في الهوى فهو محاسب .

والثالث: مكفر عنه .

والرابع: مثاب .

والخامس: مقرب إلى ربه ، و آخر واحد قال: لأن له نصيباً ممن جعلت قرّة عينه في الصلاة ، انطبق عليه جزء من قول النبي:

((أرحنا بها يا بلال))

[أبو داود عن سالم بن أبي الجعد]

أيها الأخوة الكرام ، هذا موضوع بالغ الأهمية ، الصلاة عماد الدين .

الصلاة نور و ظهور و حبور:

مرة ثانية: الصلاة نور ، أنت بالصلاة تملك رؤيا صحيحة ، والصلاة ظهور ، أنت بالصلاة لا تحقد ، ولا تكذب ، ولا تغش ، كما قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

(سورة العنكبوت الآية: ٤٥)

نهياً ذاتياً ، الصلاة نور .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾

(سورة الحديد الآية: ٣٨)

ترى الحق حقاً فتنبعه ، وترى الباطل باطلاً فتجتنبه ، يصعب أن يرتكب المصلي خطأ فاحشاً لأن معه نوراً من الله عز وجل ، والصلاة طهور ، كل أدران النفس ، كل مسالك النفس أنت بعيد عنها ، لأن الله طهرك منها ، لأن الصلاة كما قال الله عز وجل ،

﴿ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

والصلاة حبور .

((أرحنا بها يا بلال))

[أبو داود عن سالم بن أبي الجعد]

((وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))

[أخرجه النسائي عن أنس بن مالك]

الإنسان يستمتع بمخلوقات الله عز وجل لأن الله أودع فيها مسحة من جمال ، فكيف إذا اتصل بخالق الجمال ، وبأصل الجمال ؟.

الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وسيدة القربات وغرة الطاعات:

هذا الذي نقوله دائماً أيها الأخوة ، العبادة طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تقضي إلى سعادة أبدية.

فالسلك هو الأصل في الدين ، والعلم هو السبب ، والجمال هو الثمرة ، لذلك كما قال بعض العلماء: " في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة " .

ماذا يفعلوا أعدائي بي بستاني في صدري ، إن أبعدونني فإبعادي سياحة ، وإن حبسوني فحبسي خلوة ، وإن قتلوني فقتلي شهادة ، يؤكد هذا الكلام قول الله عز وجل:

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ﴾

في الآخرة:

﴿ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴾

(سورة محمد)

في الدنيا ، ذاقوا طعمها ، ذاقوا نموذجاً منها ، ذاقوا نصيباً منها ، فإن لم تقل أنا أسعد الناس في الأرض إلا أن يكون أحد أتقى مني فهناك خلل في الصلاة ، الصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، وسيدة القربات ، وغرة الطاعات ، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسموات .
أيها الأخوة الكرام ، من تركها تهاوناً فقد عصى ، وقد ارتكب كبيرة ، ومن تركها جحوداً بفرضيتها فقد كفر .

أيها الأخوة الكرام ، هذا المخلوق الضعيف ، الذي خُلق ضعيفاً:

﴿ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾

(سورة المعارج)

وخلق عجولاً ، هذه نقاط ضعف في أصل خلقه ، ما الذي يزيلها ؟ الصلاة ، والدليل:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾

(سورة المعارج)

المصلي يرى أن الله يعمل وحده في الكون ، يرى أن الله بيده كل شيء ، يرى أن الله لن يسلمه لأعدائه ، يرى أن الله حي قيوم ، يرى أن الله:

﴿ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾

(سورة الزخرف الآية: ٨٤)

يرى أن الأمر كله يرجع إليه ، يرى أنه الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، يرى أن الله حسيب على كل شيء ، أمره بيد الله لا بأيدي الخلق ، المصلي مع المنعم لا مع النعمة ، بين الغرب والشرق هذه الكلمة ، الغرب مع النعمة ، والمؤمنون مع المنعم.

أيها الأخوة الكرام ، لأن موضوع الصلاة هو الموضوع الأول ، هذه الخطبة الأخيرة كانت عن ثلاثة و ثلاثين سبباً من أسباب الخشوع بالصلاة.

الدعاء:

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، ولا يذل من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك.

اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارضنا عنا ، اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون علينا مصائب الدنيا.

ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين.

اللهم أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين